لغة الاعلام بين الفصحى والعامية[*]

أ.د. محمد عبد المطلب البكاء

مدخل: الاعلام واللغة:

الاعلام: ((تزويد الناس بالاخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع، او مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم، وميولهم))[١].

ويعرفه العالم الالماني (اوتوجروت) انه: ((التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير وروحها وميولها ، واتجاهاتها في نفس الوقت)) [٢].

اما (اللغة) فهي عند ارسطو: ((نظام لفظي محدد نشأ نتيجة اتفاق بين افراد المجموعة البشرية في مكان ما)) [٣]. وهي رمز للفكر، وهي فرق بين الانسان والحيوان ، فالنطق الفكر عند ارسطو متلازمان والنطق خاصة الانسان، وبدون الكلمات لا يتيسر فكر ولا علم[٤].

وغاية (اللغة) عند ارسطو: تحقيق الصلات بين الانسان والانسان، او معرفة الانسان للاشياء، وقد تستخدم كذلك اداة للتربية والمتعة في ناحية خاصة من نواحي النشاط الانساني[٥].

اما نشأتها: ((فان اللغة تنشأ بالتدريج شيئا فشيئا، وانها لاتقع مرة واحدة. وان اللغة تنمو وتتسع بأتساع الحاجة والادراك، وان الالفاظ الاول التي نطق بها الانسان هي الالفاظ المعبرة عن الاشياء القريبة منه، والمحيطة به، والتي يدركها نظره)) [٦].

وحدها عند علمائنا العرب، قال ابن جني:

((اما حدها فانها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم)) [٧].

وقال ابن الحاجب: ((حد اللغة كل لفظ وضع لمعنى)) [٨].

وقد رأى معظم الباحثين التقليدين: ان اللغة وسيلة انسانية لتوصيل الافكار، والانفعالات، والرغبات، عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة ارادية. ورد بعض الباحثين: ان اللغة قد تستعمل لاخفاء الفكر، وصارت عبارة ((تاليران)): ((ان اللغة كائنة لتخفي افكار الانسان)) عبارة مشهورة في الدراسات اللغوية.

ثم رأى باحثون مجددون من امثال ((مالينوفسكي)): ان اللغة جزء من السلوك الانساني، ونوع من العمل، وليس مجرد اداة تعكس الفكر، وان وظيفتها ليست مجرد وسيلة للتفاهم او التوصيل[٩].

ويذهب فريق من العلماء الى تفسير اللغة على اساس نفسي وعقلي، ويرى : ان اللغة استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الافكار ونقلها من شخص الى اخر، ومن مؤيدي هذه المدرسة ((سابير)) [١٠].

وينظر علماء المجتمع الى اللغة باعتبار وظيفتها الاجتماعية، فيعرفها العالم الامريكي ((دجار ستيرتفنت)) انها: ((نظام من رموز ملفوظة، بواسطتها يتعاون ويتعامل اعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة)) [١١].

وقال ابن خلدون من قبل: اللغة هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وهي فعل لساني، واضاف: ان اللغات ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، فاذا حصلت الملكة في تركيب الالفاظ للتعبير عن المعاني، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم الغاية من افادة مقصودة للسامع[١٢].

ان تعريفات اللغة هذه بقدر ما تلتقي لتزيد كنه (اللغة) وضوحا الا انها تفترق بحسب وجهة نظر كل علم اليها. فالفلاسفة وعلماء المنطق المعاصرون مازالوا يعتمدون مقولة ارسطو في ((ان اللغة رمز للفكر)) في حين ان وظيفة اللغة تتعدى ذلك الى كونها اداة لنقل الافكار.

ولكننا نرى ان افضل تعريف للغة بمعناها العملي، هو تعريف علماء الاجتماع لها، والذي يلتقي وما قدمه العلماء العرب من تعريفات للغة لانها رموز صوتية تنبئ عن مداولات خاصة للتعبير عما يحتاج اليه الانسان في حياته.

جاء في كتاب ((التعريفات)) لابي الحسن الجرجاني: ((اللغة هي ما يعبر بها كل قوم عن اغراضهم)) [١٣]. وهذا هو حدها عن ابن جني كما ذكرنا.

ويرى ((فندريس)) ان اللغة فعل اجتماعي من حيث انها استجابة لحاجة الاتصال بين بني الانسان[١٤]. لا فرق ان تكون الحاجة عامة لتمشية امور الناس في حياتهم المختلفة او خاصة للتعبير عن الافكار التي تجول في ذهن الفرد.

وكلا هاتين الحاجتين يحتاجهما رجل الاعلام وعلم الاعلام بشكل خاص. الذي يسعى لتحقيق وظائفه الاساسية: الاخبار، الاعلام، التفسير او الشرح، التوجيه او الارشاد، التسلية او الامتاع، التشويق او الاعلان، التعليم والتنشئة الاجتماعية. وهذه كلها امور تجول في خاطر رجل اعلام ومهمته التعبير عنها بنفسه لتوصيلها الى اذهان الجماهير.

وبذلك يبدو ان تعريف الاجتماعيين للغة تعريف يتناسب وما يريده الاعلاميون من اللغة الاعلامية او الاتصال بالجماهير بوجه خاص، والذي اتضح لنا من خلال عرض تعريفي الاعلام واللغة وما بينهما من وشائج وصلة.

الاتصال: وظيفة من وظائف اللغة:

ان وسائل الاتصال، وكما هو معروف محددة ضمن اطار هذا العلم، وهي قابلة للزيادة، فاذ يحصر بعض الاتصاليين وسائل الاتصال: بالصحافة، الراديو، التلفاز

(او ما يطلق على تسميته الصحافة السمعية البصرية) ، السينما[١٥]. نرى ان بعضهم الاخر يتوسع في ذلك، فيضيف: وكالات الانباء ، المعرض، المؤتمرات الصحفية، الزيارات الرسمية، العلاقات العامة، وكما يسميها: (فن الاتصال بالجماهير) [١٦]. ونحن مع هذا الراي في التوسع بتعدد وسائل الاتصال لسبب بسيط هو ان (اللغة) لها دخل كبير في انجاز عمل هذه الوسائل الاتصالية.

ان مفهوم الاتصال بين اللغة والاعلام له مجال او اكثر غير مفهوم (الوسيلة) اذ يتفق علماء اللغة والاعلام على ضرورة وجود معنى حتى يمكن لدائرة الاتصال ان تتم وتؤدي دورها في الابلاغ[١٧].

ففي الجانب الاصتالي يقدم ((ديلبورشرام)) نموذجا لعملية الاتصال يذكر فيه:

اولا: المصدر او صاحب الفكرة.

ثانيا: التعبير عن الفكرة وصياغتها في رموز لتكوين الرسالة.

ثالثا: المستقبل الذي يفك رموز الرسالة.

رابعا: الاستجابة ورجع الصدى الذي قد يصل وقد لا يصل الى انتباه مرسل الرسالة الاعلامية، فان وصل وفسر تفسيرا صحيحا، فان الدورة الاتصالية تكتمل[١٨].

وهذا التقسيم على الرغم من حداثته الا انه لا يختلف كثيرا عن تقسيم الموقف الاتصالي عند ارسطو، والذي هو : الخطيب او المرسل، الجمهور او المستقبل، الخطبة او الرسالة، مع ضرورة فهم الخطيب لرسالته وجمهوره على السواء[١٩].

يوهتم علماء النحو بالكلمة: التي هي لفظ وضع لمعنى، والجملة التي هي اصغر وحدة كلامية، الا انهم لا يعترفون بها الا اذا جاءت بمعنى أي (بكلام مفيد) يحسن السكوت عليه، ويفرقون بين (اللغة) و (اللغو) هو: ((ضم الكلام ماهو ساقط العبرة منه، وهو الذي لا معنى له في حق ثبوت الحكم)) [٢٠].

ان الحقل المشترك بين اللغة والاعلام في العلاقة بين اللفظ والمعنى هو حقل (الدلالة) فعلماء اللغة يعنون بعلم (الدلالة) وعلماء الاعلام يهتمون بالاطار المشترك بين مرسل الرسالة ومستقبلها حتى يتم الاعلام في هذا الاطار المشترك، ولا تسقط الرسالة خارجه.

ويمثل (اللفظ) القاسم المشترك في الدلالة بين اللغة والاعلام. فعلى الرغم من دلالة الاشارة او الرسم على المعاني احيانا. وعلى الرغم من وصول المعاني في احيان اخرى الى الانسان نتيجة للتأمل والتفكير، يظل (اللفظ) صاحب السيادة لانه يتقدم سائر اشكال الدلالات.

وفي اللغة لا يقوم اللفظ بمفرده بالاتصال لان السياق هو الذي يعين قيمة الكلمة، ويحدد معناها تحديدا مؤقتا، ويفرض قيمة واحدة بعينها على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها ان تدل عليها، وهو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعمها الذاكرة م ان تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية، ولكن الكلمة بكل المعاني الكامنة فيها توجد في الذهن مستقلة عن جميع

الاستعمالات التي تستعمل فيها مستعدة للخروج والتشكل بحسب الظروف التي تدعوها[٢١].

وقال ابن خلدون: ان الامور التي يقصدها المتكلم اما تصور مفردات من الاسماء والافعال والحروف ، واما تمييز المسند والمسند اليه والازمنة، ويدل عليها بالاعراب، وهو من صناعة النحو، ويبقى من الامور المحتاجة للدلالة، احوال المتخاطبين او الفاعلين، ومايقتضيه حال الفعل، لان لكل مقام مقالات يختص به[٢٢].

وعلى الرغم من ان علم (السيميوطيقا) او نظرية الاشارات والرموز يفرق بين الاشارة والعلامة ويقر بوجود تمايز بينهما، لان الاشارات اصطلاحية أي متواضع عليها، وكونها تستلزم وجود عنصري (المرسل والمستقبل) ع توفر عامل الوعي والادارك لان وظيفتها (اعلامية) . اما (العلامة) فلا تستلزم وجود العنصرين السالفين لانها لا تتضمن عملية اعلام مقصودة. الا اننا نجد ان الاشارة تكون غير ذات معنى مالم تكن ضمن نسق من الاشارات يحدد معناها وتكون صوابا في اطار هذا النسق دون غيره، والاشارات في عمومها سواء كانت الفاظا ام حركات لها شكل ومعنى، او وعاء ومحتوى. وق يتفق الشكل ويختلف المعنى، وجوهر اللغة في معناها اساسا.

ويقرر علماء (السيميوطيقا) ان لغة الاستعمال المنطوقة هي نسق من الاشارات نشأ في المجتمع. الا ان لها خاصية تميزها عن سواها من وسائل التفاهم، فلغة الانسان نسق اشاري بالغ التعقيد، قادر على نقل الفكرة الخالية المجردة، والصور العقلية،

مثل مفهوم الوعي المطلق، وهو ما لا يتأتي من أي نسق اشاري لغير الانسان. ومن ثم فهي لغة اكثر ثراء وغنى واكثر اقتصادا[٢٣].

ونخلص من ذلك الى ان اللغة تتميز عن غيرها من الرموز والنظم الاشارية لانها في متناول الجميع، تنشأ من المجتمع وللمجتمع وتبدأ بالخاطابة أي النثر، ثم ينشأ الشعر.. وبعد ذلك يحدث علم صناعة اللسان: الذي يبدأ بالاستقراء والتتبع، والحفظ والتدوين، ويشمل ذلك المفردات والتراكيب، ثم يبدأ التامل والدرس لوضع القوانين النحوية واللغوتي، وصناعة الكتابة[٢٤].

ولما كانت اللغة من المجتمع واليه وان وظيفتها الاساسية: انها وسيلة من (الاتصال) او (النقل) او (التعبير) عن طريق (الاصوات الكلامية) فان ما توصله اللغة او تنقله او تعبر عنه هو الافكرا والمعاني والانفعالات والرغبات او الفكر بوجه عام[٢٥]. الا ان اللغة لا يمكن حصرها بانها (وسيلة اتصال) فقط، لان دراسة (الوظائف الكلامية) في أي لغة من اللغت الحية، لا تؤيد مثل هذا التعريف. وعليه وجب القول: ان اللغة تؤدي وظيفة اتصالية او بمعنى اخر: ان الاتصال وظيفة من وظائف اللغة.

لقد كان الاتجاه السائد قديما يؤكد ان اللغة وعاء الفكر، وان وظيفتها التعبير عن الفكر البشري سواء كان متعلقا بامور عقلية محضة ام بالعواطف والاحاسيس والرغبات الانسانية. اما المحدثون فكثير منهم يفضلون ان يقصروا وظيفة اللغة على الاتصال[٢٦].

ويبدو ان الفرق ليس كبيرا بين الاتجاهين (القديم والحديث) في النظرة الى اللغة لان وظيفتها (التعبير) و (الاتصال) فهي ذات وظيفة اتصالية في كلا الاتجاهين خاصة اذا علمنا ان الاعلام هو: عملية نشر، وتقديم ، تشمل، المعلومات، الحقائق، الاخبار، الموضوعات الدقيقة، الوقائع المحددة، الافكار المنطقية، الاراء للجماهير مع ذكر مصدرها.

وفي ضوء تحليل العلاقة بين اللغة والاعلام، نرى ان اللغة ليست وسيلة اتصال بالمفهوم الاعلامي للوسال الاعلامية، ولكن الاتصال وظيفة من وظائف اللغة[٢٧] لاننا لا نستطيع ان نقصر وظيفة اللغة على الاتصال او التعبير عن الفكر وحدهما. بل يجب ان ننظر الى اللغة على انها وظيفة اجتماعية، ومن وظائفها الاتصال.

لغة الاعلام:

ترجع عناصر اية لغة الى امرين: الصوت والدلالة

وتتكون الدلالة من [٢٨]:

- معاني المفردات Lexicologie
- قواعد التنظيم (النحو) syntaxe
- قواعد البنية (الصرف) Morphdogie
- قواعد الاسلوب (البلاغة) Stylistigne

وسنعني في بحثنا هذا بالعنصر الثاني من عناصر الغة باقسامه الاربعة، لانها تشكل نظام الرموز التي تصدر بطريقة ارادية، قصد التعبير عن غرض معين ، خاصة اذا كانت هذه الرموز مكتوبة. ولان هذه الاقسام الاربعة: هي مكونات (الرسالة الاعلامية) التي تعد العنصر الثاني في عملية الاتصال (Communication) الذي يعرف انه: تبليغ رسالة شفوية او خطية ، او معلومات ، او افكار ، او اراء ، عن طريق الكلام المنطوق او الكتابة، او الاشارات فهو كما يورده قاموس ويستر : ((عملية يتم فيها تبادل المفاهيم بين الافراد، وذلك باستخدام نظام الرموز المعروفة)) [٢٩].

وتشمل عملية الاتصال بمفهومها البسيط ثلاثة عناصر هي:

- المرسل : (Sender)
- الرسالة: (Message) حديثا او تعبيرا بأية اشكال او رموز او كلمات
- المستقبل : (Receivers)

وفي حالة الاتصال الجمعي او الاتصال بالجماهير (Mass Communication) نضيف عنصرا رابعا هو (الوسيلة) Media كالصحف والاذاعة والتلفاز التي يمكن بوساطتها نقل الرسالة في وقت واحد لاكبر مجموعة من الجماهير، بهدف الاعلام،

او الدعاية ، او الاعلان، او الاقناع، او التأثير العقلي، او العاطفي، او الايحاء بافكار واتجاهات ومقاصد معينة[٣٠].

لذا فان حديثنا عن (الرسالة الاعلامية) سيدور حول امرين هما:

- لغة الرسالة الاعلامية بين الفصحى والعامية.
- لغة الرسالة الاعلامية بين مستويين.

لغة الرسالة الاعلامية بين الفصحى والعامية:

عرف النقاد العرب النثر انه الكلام المرسل من قيود الوزن والقافية، وقسموه على ثلاثة اقسام، ثم اضافوا اليه قسما رابعا، وهذه الاقسام هي:

١- النثر العادي: وهو الذي يستخدمه عامة الناس في لغة تخاطبهم دون ان يحفلوا به، او يقصدوا فيه الى شيء من الروية او التفكير او الزخرف وانما يرسلونه مباشرة لمجرد التعبير عن حاجاتهم المختلفة.

٢- النثر العلمي: وهو الذي تصاغ به الحقائق العلمية لمجرد ابرازها والتعبير عنها دون عناية بالناحية الفنية.

٣- النثر الفني: وهو الذي يرتفع به اصحابه عن لغة الحديث العادية، ولغة العلم الجافة، الى لغة فيها فن ومهارة وروية ، ويوفرون له ضروبا من التنسيق والتنميق والزخرف، فيختارون الفاظه وينسقون جمله، وينمقون

معانيه. فيكون النثر الفني بهذا المعنى لونا جميلا من الفن للتعبير عن خلجات النفس، وومضات العقل، وخطرات الشعور وهو يتسخدم الوانا من الطاقات الفنية المختلفة من حيث العناية باختيار الالفاظ، وتركيب الجمل، وما شابه ذلك. ويتحقق في هذا النثر التفكير من ناحية، والجمال من ناحية ثانية . ولكن ظهرو الصحافة لاعربية في القرن التاسع عشر الميلادي، دفع بعض اساتذة الصحافة والادب الى اضافة نوع رابع اسموه:

٤- النثر العلمي (الصحفي) ، وقالوا ان هذا النوع من النثر يقف في منتصف الطريق بين لغة الادب (النثر الفني) ولغة التخاطب اليومي (النثر العادي) . له من النثر العادي الفته وسهولته وشعبيته، وله من الادب حظه من التفكير، وعذوبة التعبير. ولعل هذا ما جعل بعض اساتذة الصحافة يطلقون على الصحافة (ادب العاجل) [٣١].

واذا كانا نتفق وتعريفهم النثر انه الكلام المرسل من قيود الوزن والقافية الا اننا لانرى لهذا الكلام المرسل الذي اسميناه (النثر) الا قسما واحدا يقف في مقابل (الشعر) . ويكون على ضربين:

الضرب الاول: النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب، وليست لهذا الضرب قيمة ادبية الا ما يجري في احيانا من امثال وحكم.

الضرب الثاني: النثر الفني، وهو الذي يرتفع فيه اصحابه الى لغة فيها فن ومهارة وبلاغة ، ويتفرع الى جدولين ، هما (الخطابة والكتابة الفنية) [٣٢].

هذا ما عرفه النثر العربي منذ عصر ما قبل الاسلام والى يومنا هذا، وما حفظته لنا كتب الادب واللغة والتاريخ والعلوم الاخرى.

اما (النثر العادي) الذي نسميه، لغة التخاطب اليومي، في عصرنا هذا فليس قسما من اقسام نثرنا العربي، لانه لهجات انشعبت عن اللغة الام واختلفت عن الاصل الذي انشعبت عنه في كثر من مظاهر الصوت، والقواعد والدلالة، والمفردات ، وسلكت كل لهجة منها في تطورها منهجا يختلف عن غيرها تحت تأثير ظروفها الخاصة.

ومهما يكن من اسباب ظهور هذه اللهجات، فاننا نرى مقارنة بالاصل الذي انشعبت عنه انها:

١- تجردت من جميع الحركات التي تلحق اخر الكلمات في العربية الفصحى ، سواء في ذلك ما كان منها علامة اعراب، ام ما كان حركة بناء، فينطق في هذه اللهجات بجميع الكلمات مسكنة الاوامر، وتلزم حالة واحدة في الكلمات المعربة بالحروف، ويعتمد في فهم الامور التي ترشد اليها في العربية الفصحى (علامات الاعراب) على سياق الحديث، او كلمات مستقلة تذكر في جملة[٣٣].

ان الاعراب من اهم مميزات اللغة العربية، وهو الابانة والافصاح، ولما كانت العربية لغة تتوخى الايضاح والابانة، كان الاعراب احدى وسائلها لتحقيق هذه الغاية، فلا يستطاع التمييز بين النفي والتعجب والاستفهام في بعض التعبيرات مثلا، الا بالاعراب لان الصيغة فيها واحدة.

وهل يمكن بغير الضبط الاعرابي فهم المعنى المراد من قولنا: (لا تأكل وتتكلم)؟ اهو النهي المطلق عن الفعلين، وهذا يقتضي جزم الفعلين، ام النهي عن الاول وحده مع اباحة الثاني، وهذا يقتضي جزم الاول ورفع الثاني، ام النهي عن اقترانهما معا مع اباحة كل منهما وحده على انفراد ، وهذا يقتضي جزم الاول ونصب الثاني؟

وكيف نعامخل اواخر الكلمات التي لا تعرب بحركات اعرابية في اخرها، وانما تعرب بحروف كل حرف يرمز الى معنى خاص يخالف ما يرمز اليه الاخر.

وكيف يتضح مدلول الضمير في (انت ، لك) بغير الحركة التي تبين نوعه ودلالته على المذكر والمؤنث.

فالاعراب اذن مطلب العقل في اللغة، وهو ارقى ما وصلت اليه اللغات في الابانة والوضوح ، وقد بلغت العربية الفصيحة هذه المرتبة ولايشاركها فيها من اللغات القديمة الا اليونانية واللاتينية، اما اللغات الارية الحديثة– تشمل معظم لغات اوربا– فقد خلت من حالات الاعراب ، ولا مميز فيها بين الرفع والنصب

والخفض، وانما يقوم مقامها الحاق ادوات خاصة بذلك معظمها من حروف الجر، او بتقديم الالفاظ وتأخيرها[٣٤].

٢-استبدل في هذه اللهجات، بالطرق الدقيقة التي تسير عليها العربية الفصحى في تركيب الجملة وترتيب عناصرها، طرق بسيطة وساذجة، واساليب حرة طليقة، في حين ان اساليب العربية الفصحى تسير وفقا لقواعد يرجع اهمها الى ثلاث طوائف.

- القواعد المستخدمة باستخدام المفردات والتراكيب في معانيها الاصلية، والخروج بها عن هذه المعاني، وهي القواعد التي يسير عليها الاسلوب العربي بصدد الحقيقة والتشبيه والمجاز والكناية والنقل وما الى ذلك.

- القواعد المتعلقة بمطابقة الكلام لمقتضيات الاحوال، وهي القواعد التي يسير عليها الاسلوب العربي بصدد توكيد الكلام واطلاقه، والاطناب في القول، والايجاز فيه، ومساواته لايراد التعبير عنه، وطرق استخدام الجمل الخبرية والانشائية، وفصل الجمل بعضها عن بعض او وصلها، وقصر الحكم وتخصيصه، وذكر جميع عناصر العبارة، وحذف بعضها، وتقديم بعض هذه العناصر على بعض ، وتعريفها وتنكيرها.

– القواعد المتعلقة بما تضمنته العبارات العربية احيانا من محسنات لفظية، وذلك كالقواعد الخاصة بالجناس، والمقابلة والتورية والطباق، وحسن التعليل، وتوكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه[٣٥].

وليست هذه الوقاعد عناية باللفظ، وانما بالمعنى، لان ((الالفاظ خدم للمعاني، والمخدوم – لا شك – اشرف من الخادم)) [٣٦].

٢– لم تحتفظ هذه اللهجات الا بجزء يسير من تراث الامة العربية وثروتها العظيمة في المفردات، ويتمثل هذا الجزء في الكلمات الضرورية لحديث العادي.

وفي دراسة تضمن مسحا اوليا لبعض كلمات اللهجة العامية في القاهرة كشف فيها معدها، عجز العامية بالقياس الى الفصحى من حيث المفردات، فلا تكاد تشمل من الافعال الثلاثية المبتدئة بحرف الباء الا نحو ثلث ما يرد في معجم متوسط كالمحيط، (فالافعال الثلاثة في العامية اقل بكثير من الافعال الفصحى ، ومعنى هذا انها تقصر عن اداء كثير من المعاني التي يمكن ان تؤدي بالفصحى)) كا وجد تحريفا في وزن الافعال وتصريفها، وكثرة الدخيل فيها، وتساهلها في اوزان المضارع، وميلها الى التبسيط في قواعدها[٣٧].

ان (العامية) فقيرة كل الفقر في مفرداتها ولا يشمل متنها الا على اكثر الكلمات الضرورية للحديث العادي، في حين عرف عن (الفصحى) انها من اوسع اللغات في

العالم، كما ان ابرز ما تفخر به الفصحى هو (انها قادرة على متطلبات العصور بما تتصف به من مرونة في التعبير، ووسائل الاشتقاق ، مع محافظتها على صفات الاصالة والخلود، وهي لولا هاتان الصفتان جميعا لما بقيت حتى اليوم، ولما اتسعت لكتب الطب والفسلفة وسائر العلوم، ثم ظلت يفهمها ابن القرن الحاضر عن ابن الجاهلية، لم تقطع بينهما الايام، ولم تختلف فيما بينهما الحروف)) [٣٨].

٣- انحرفت العامية عن الفصحى، وسبب هذا الانحراف ناشئ في اغلب الاحيان من القصد الى التخفيف في النطق، ويحدث التحريف:

- اما بزيادة حرف كما هو الحال في: (رجال) بدلا من (رجل).
- اتباع حركة اول الكلمة للحرف اللين الذي في وسطها، مثل (بيت) بدلا من (بيت).
- ابدال بعض الحروف باخرى، اسهل في النطق، مثل: (اشتره) بدلا من (اشترى).
- تخفيف النطق بابدال الحرف المضعف (ياء) مثل: مريت حطيت.
- القلب، مثل: (المعلقة) بدلا من (الملعقة).
- النقصان ، مثل (عطوني) بدلا من (اعطوني) و (مرت فلان) أي: (امرأته) و (ع الرف) أي (على الرف).
- النحت ، مثل (امنين) بدلا (من اين)؟

- التصحيف، مثل : (اتنين) بدلا من (اثنين) و (ثنتين) بدلا من (اثنتين) [٣٩].

ان رفضنا للعامية ينطلق من جملة امور اهمها:

١- ان (العامية) لا تصلح ان تكون لغة اعلامية لانها فقيرة، ومضطربة كل الاضطراب في قواعدها واساليبها ومعاني الفاظها، وتحديد وظائف الكلمات في جملها، وربط الالفاظ والجمل بعضها ببعض، واداة هذا شأنها لا تقوى مطلقا على التعبير عن المعاني الدقيقة، ولا عن حقائق العلوم والاداب، والانتاج الفكري المنظم[٤٠].

٢- ان (العامية) لا علاقة لها بالفصحى، لانها خالية من كثير من مواصفاتها، وفي هذا المثل الذي يذكره احد المستشرقين خير دليل على ذلك، يقول المستشرق مورينو: (لقد تعلمت العربية في ايطاليا، ثم اقمت زمنا في ليبيا وفي مصر وفي السودان والعراق، فواجهتني مشقة اختلاف اللهجات، وصعوبة التفاهم بها. اذا قلت لعربي بي بنغازي: اعطيني شرابا، ثلم قلت ذلك لعربي في طرابلس، اعطاني احدهما مشوربا، واعطاني الاخر جوربا) [٤١]. ثم ان ذاكرة كل واحد منا تختزن الكثير من مثل هذا خلال سفره او تجواله او لقائه باخوانه العرب.

٣- ربما كان من اسباب اهمال اللهجات العربية وعدم تسجيلها، منذ عصور الفصاحة. ان الدولة العربي فحينما اتسعت، كان لابد من ضمان لوحدتها، والقضاء على عوامل الفرقة فيها، وذلك الا تعطي اللهجات العربية من العناية ماقد يزيد من عصبية القبائل ويباعد بينها، فاهمل امرها. وعلى ذلك فقد جاءتنا هذه اللهجات العربية ممسوخة حينا ومبتورة السند مشوهة المتن احيانا او مهملة العزو[٤٢].

٤- ان الدعوة الى العامية في عصرنا هذا، الذي تواجه فيه الامة العربية تحديا حضاريا ومصيريا، دعوة شعوبية تعني من الوجهة السياسية تفكيك وحدة الامة العربية، واقامة كيانات سياسية متفسخة غير متفاهمة كا انها دعوة الى الانزواء والتقاطع ما بين المجتمعات العربية التي وحدها اللسان العربي على الرغم من فداحة الاخطار المحدقة بها.

لغة الاعلام هي الفصحى:

ان ما تمتاز به اللغة العربية الفصحى من خصائص، ومن حيث قدرتها الاتصالية بالجماهير على امتداد الوطن العربي جعلها اكثر وفاء لمطالبه وغاياته، فاذ يشترط الاعلاميون في اللغة الاعلامية (الوظيفة الهادفة، والوضوح، والاشراق) لان الفن الصحفي والاعلامي بوجه عام، فن تطبيقي يهدف الى الاتصال بالناس، ونقل

المعاني والافكار اليهم، فهو اداة وظيفية وليس فنا جماليا لذاته[٤٣]. نرى استجابة العربية الفصحى لمتلطبات هذا الفن، وذلك من خلال تركيب مفرداتها (الجملة) وقواعدها، لان الجملة التي هي الصورة اللفظية للفكرة ، ووظيفتها: نقل ما في ذهن المتكلم من افكار الى ذهن السامع، فهي اذن: ((وسيلة لتناقل الافكار، واداة للتفاهم بين بني الانسان)) [٤٤]. والجملة في اقصر صورها، هي اقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه.

ثم ان (الجملة) في اللغة العربية تختلف في طبيعة تركيبها عن الجملة في اللغات الاخرى، اذ لاتحتاج الجمل الخبرية فيها الى افعال الثبات او ما يسمى في اللغات الغربية (فعل الكينونة). فنحن نقول في العربية على سبيل الاخبار (فلان شجاع) دون الحاجة مثلهم الى ان نقول (فلان هو شجاع) ونقول (كل انسان فان) دون الحاجة الى ان نقول (كل انسان هو فان) او (كل انسان يكون فانيا) او يوجد فانيا، واذا قلنا مثلا: (الامة العربية واحدة) ثبت هذا المعنى في اذهاننا ثبوتا لا يحتاج معه الى شيء من الخارج، لافعل كينونة ولا أي رمز اخر من اللغة، او أي امر من امور الحس[٤٥].

اما علاقة الالفاظ بالمعاني في اللغة العربية فليست بحاجة الى مزيد من الايضاح لان العناية باللفظ مردها الى العناية بالمعنى، لذلك بالغ العرب في اصلاح الفاظهم وتهذيبها وترتيبها، وتحسينها ليكون لها وقع في السمع، ودلالة على القصد، قال ابن

جني: (اعلم انه لما كانت الالفاظ للمعاني ازمة، وعليها ادلة ، واليها موصلة، وعلى المراد منها محصلة، عنيت العرب بها، فاولتها صدرا صالحا من تثقيفها واصلاحها) [٤٦].

واذا كان الاعلاميون قد حددوا الاسلوب الاعلامي بـ(اعطاء الحقائق، بما يمكن من الدقة والسرعة، واليسر والظرف) [٤٧] فان الفصحى انطوت على هذه الخصائص والمواصفات، قبل ان يبدأ الاعلاميون البحث في مواصفات اسلوبهم الذي يرديون، فلايجاز في العربية يعد من اهم سمات الكلام البليغ، (وقد كان العرب يميلون اليه ويفضلونه على الكلام المسهب ويعدونه البلاغة، فاكثم بن صيفي، قال: ان البلاغة هي الايجاز) [٤٨].

وقال معاوية ابن ابي سفيان لصحار بن عياش العبدي، ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: الايجاز. قال معاوية: وما لايجاز؟ قال صحار: ان تجيب فلا تبطيء ، وتقول فلا تخطئ[٤٩].

وفي الدقة ايضا ثمة مزية تميز العربية وتعد مقياسا لمعرفة ارتقاء أي لغة، الا وهو مقياس الدلالة على الزمن في الافعال، ثم في سائر الالفاظ، وهذا المقياس من اهم مظاهر اللغة الاعلامية الناجحة، لان الصحفيين ورجال الاعلام (يكتبون لكل الناس في كل الاوقات، وليس لجزء من الناس في كل الاوقات، او لكل الناس بعضا من

الوقت.. ولهذا تظهر براعة اللغة الاعلامية من علامات الزمن في افعال لغتها الام) [٥٠].

وعلى الرغم من ان النحاة العرب قسموا الفعل على ثلاثة ازمنة، الا ان الدكتور مهدي المخزومي اخذ عليهم في ذلك لانهم بنوا تقسيمهم الفعل، واختلاف صيغه على اقسام الزمان وخصوا كل صيغة بزمان معين.

قال سيبويه (اما الفعل فامثلة اخذت من لفظ احداث الاسماء، وبنيت لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع) [٥١].

وقال ابو سعيد السيرافي، يوضح ذلك: (اعلم ان سيبويه ومن نحا نحوه يقسم الفعل على ثلاثة ازمنة ، ماض ، ومستقبل، وكائن في وقت النطق، وهو الزمان الذي يقال عليه الان الفاصل بين ما مضى ويمضي، واما الماضي فانه يختص مثالا واحدا، والحال والمستقبل الذي ليس بامر يختصان بناء واحدا، الا ان يدخل عليه حرف يخلص له الاستقبال وهو سوف والسين وان الخفيفة) [٥٢].

ويرى الدكتور مهدي المخزومي، ان تقسيم النحاة هذا مبني على الزمان الفلسفي الذي يقوم على اساس حركات الفلك، على حين ان الزمان النحوي لا يقوم على مثل هذا الاساس، لانه يقوم على اساس من تفريق لابنية الفعل وصيغته.

فالماضي:

له صيغة (فعل) وما على مثالها، وصيغة (قد فعل) وما على مثالها، وصيغة (كان فعل، كان قد فعل، قد كان فعل) وما على مثالها.

والحاضر:

له صيغة (يفعل) البسيطة، وما على مثالها ، وصيغة (كان يفعل) البسيطة وما على مثالها.

والدائم:

وله صيغة (فاعل) المجردة من السوابق واللواحق ، وصيغة (فاعل كذا) غير منونة، وصيغة (فاعل كذا) منونة، وصيغة (كان فاعلا).

ولهذه الصيغ مجتمعة استعمالات خاصة في اللغة تصل الى خمسة عشر استعمالا، هذا في حالة الاثبات، فاذا اضفنا استعمالاتها في النفي، اضافة الى السبل الكثيرة التي تتوفر عليها العربية عن خلوص الصيغ الزمنية لزمان معين نصل الى ما يزيد على اربعين استعمالا زمنيا للفعل العربي[٥٣].

ان مثل هذا الاحساس الدقيق بالزمن في الفعل يكاد ان يكون سمة مميزة للعربية، اما على صعيد الالفاظ فيكفي النظر في كتابين اختصا بهذا الموضوع هما: كتاب (الفرق) لثبات بن ابي ثابت (المتوفي في اواسط القرن الثالث الهجري) ، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الاستاذ محمد الفاسي في الرباط ١٩٧٣ (سلسلة تراثنا اللغوي١).

وكتاب (الفروق في اللغة) لابي هلال العسكري (المتوفي بعد الاربعمائة) اضافة الى كثير من الكنوز اللغوية التي تناولت هذه المسألة ، ناهيك عن معجمات اللغة.

واذا انتقلنا الى صيغ اللغة العربية نجد ان هذه الصيغ بقدر ما تزيد العربية رفعة وسموا، فانها تزيدها دقة تعبيرية، ولنأخذ على سبيل المثال (صيغتي المبني للمعلوم، والمبني للمجهول) نرى ان اللغات الاخرى تدل على هاتين الصيغتين بعبارة لا اختلاف فيها لتركيب الفعل على كلتا الحالتين، على حين ان العربية تدل على المبني للمجهول بصيغة خاصة في اوزان الثلاثي والفعل الرباعي والخماسي او الفعل المزيد. بغض النظر عن ان هذه الصيغة فرع عن صيغة المبني للمعلوم (راي البصريين) او انها اصل وليست فرعا من غيرها (رأي الكوفيين) فالمبني للمجهول ما حذف فاعله لغرض من الاغراض : اما جهلا به، او ابهاما للامر على السامع، او خوفا منه، او عليه، او تعظيما له، او ايجاز في التعبير، او غير ذلك، على حساب قصد المتكلم، وحينئذ يقام المفعول مقام الفاعل فيرتفع ويسمى (نائب الفاعل). لان الاصل في الجملة الفعلية ان تكون من فعل وفاعل، فاذا ذكر الفاعل جاء الفعل على صورته المعروفة، فان كان المتكلم لا يعرف الفاعل، او يعرفه ولكنه لا يرى ان يذكره في كلامه لسبب من الاسباب، فان الفعل يصح ان ينسب الى المفعول به او ما قام مقامه على وجه اخر غير الفاعلية. وفي هذه الحالة يجب ان تتغير بنية الفعل وهيأته، ليفرق بذلك بين الفاعل وما يقوم مقامه الذي يسمى نائب فاعل[٥٤].

نحن نقول: فتح الرجل الباب، ونقول : فتح الباب (بصيغة المجهول) ولكن العبارة في اللغات الاوربية التي تدل على ذلك: (ان الباب يكون مفتوحا) او (ان الباب صار مفتوحا). وهو تعبير يخلو من دقة الصياغة قياسا الى العربية، لانه اقرب الى الوصف منه الى الاخبار او الاعلام، ولاسيما التعبير الغالب عندهم، وهو ما يقابل قولنا: (ان الباب مفتوح) [٥٥].

وتزيد العربية بصيغة اخرى لاوجود لها في اللغات الاخرى، وهي صيغة (المطاوعة) وهي ان يدل احد الفعلين على تاثير ، ويدل الفعل الثاني على قبول فاعله لذلك التاثير ، بشرط ان يتلاقى الفعلان اشتقاقا، وان يكون الفعل علاجيا والاوزان التي وردت من ذلك:

- (انفعل) ويكون مطاوعا لوزنين هما (فعل وافعل).
- (افلل)
- (تفعلل)
- (افعل) ويكون مطاوعا للثلاثي، وعلى هذا يكون المجرد متعديا والمزيد لازما.
- (تفعل) ويكون مطاوعا (لفعل) بالتضعيف
- (تفاعل) ويكون مطاوعا لوزن (فاعل) [٥٦].

ان الدقة في دلالة اللفظ، وصياغة الجملة في العربية ، يجعلانها مستوفية لوجوه الدلالة ، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، وعدم استعمال عبارة واحدة لموضعين ملتبسين (المعلوم والمجهول) وذلك ايفاء بالمعاني المقصودة في الاتصال الاعلامي بين (المرسل) و (المستقبل) او على حساب ضرورة التفاهم بين الاثنين ، قال الجرجاني:

((لايكون لاحدى العبارتين مزية على الاخرى حتى يكون لها في المعنى تاثير لا يكون لصاحبتها، فان قلت فاذا افادت هذه ما لا تفيده تلك فليست عبارتين عن معنى واحد، بل هي عبارتان عن معنين اثنين)) (٥٧).

ان هذه الصفات التي تميز العربية عن غيرها هي ما نسميه (الحركية) واليت تجعلها صالحة لطبيعة الاعلام وتمنحها طواعية في ايراد حادث وقع حالا يبعث على اهتمام القراء به. كما تتمكن من اعلام القراء بكل ما يردون ان يسلموا من سرد صحيح موقوت لاحداث وكشوف واراء وامور من أي نوع تؤثر في القراء او تثير اهتمامهم، وهذا ما نسميه بالعلاقات المتغيرة بين الانسان والانسان وبين المرء وبيئته، اجتماعية او اقتصادية او سياسيةاو غير ذلك من العلاقات. وعلى ذلك فان في اللغة العربية طواعية تمكنها من الاجابة عن الاسئلة التي تجول في خاطر رجل الاعلام دائما وهي: (ماذا حدث) و (ماذا يجري الان) و (الا من جديد) و (اثمة مايثير) ؟ و (اهناك مايؤذن بجيد)؟.

ويرجع ذلك الى الخصائص الاعلامية في العربية والتي تتبين من تكييفها وفقا للقوالب الاعلامية المختلفة، بحيث استخدمت في الصحافة الحديثة، وفي الوسائل الاعلامية المستحدثة، ولم تقع في اخطاء لغوية كالتي تقع فيها اللغات الاوربية، حين تحرر من بعض القيود اللغوية، ولاسيما عند صوغ العنوانات المختصرة.

اننا حين نقول ان لغة الاعلامية هي اللغة العربية الفصحى فاننا نعني ذلك جميعا، على خلاف ما يذهب اليه بعضهم في اللغات الاوربية في ان لغة الاعلام، لغة الفن الصحفي مستقلة تمام الاستقلال عن اللغة الاصلية الفصيحة[٥٨].

يضاف الى ما تقدم ان العامية المنتشرة في ارجءا الوطن العربي لاتجمعها قواعد مشت، وانما تطورت وفقا لظروف بيئية وجغرافية، وتختلف في مدى قربها وابتعادها عن اللغة الام (الفصحى).

واذا كان الاعلام – والصحافة اولى وسائله– قد حسم مشكلة الازواج اللغوي لصالح العربية الفصحى ، فاملطلوب من الاعلام اليوم هو الحفاظ على نظارة هذه اللغة، وتجيد شبابها، ورفع الحيف الذي لحق بها من خلال التجاوز على اسسها وقواعدها. وي بلدان المغرب العربي تكون هذه المهمة اكثر الحاحا فالصراع الذي عاشته اللاعربية مع لغة المستعمر التي ضربت في اعماق هذه الارض اثر بشكل كبير على سلامة العربية وحيويتها مما ادى الى خسرانها الكثير من ستها، وخصائصها

التعبيرية بفعل ازدواج الواقع اللغوي ، وانتشار حركة الترجمة وتسرب الكثير من الالفاظ والاسلايب التي لم تكن من العربية في يوم ما[٥٩].

يشجعنا على ذلك ان اللغة العربية لغة قديمة متواصلة، وهذا التواصل من اهم خصائصها، ولولاه لانقطع الحاضر عن الماضي، كما انها ظلت على الرغم من تعدد اقطار الناطقين بها محتفظة بوحدتها، التي تتجلى في احاديثنا وتاليفنا في العلوم والفنون والادب.

ثم العربية ليست لغة فئة او جماعة بعينها، وانما هي لغة الشعب العربي كله قديما وحديثا، فقد كان العربي ينتقل في جزيرته او يطوف العالم العربي الاسلامي، فلا يجد صعوبة في اللغة ولا ضيقا في الفهم، على الرغم من امتداد البقاع وتنوع الاصقاع، اليوم الى المذياع وقد يكون ممن لا يحسنون القراءة والكتابة، ويقرأ الصحف والكتب وهي تصدر في اقطار عربية مختلفة فيفهما وينتفع بها، ولم يكن لك يسيرا لولا شعبية اللغة العربية، وحرص ابنائها على التمسك بها، والذود عنها ورد ما يشيعه الشعبيون ويسعى اليه الحاقدون على الامة ولغتها الرائعة[٦٠].

لغة الاعلام بين مستويين:

ذكرنا اننا لا نقبل من اللغة الا الفصحى ، وذلك لخصائصها التي انطوت عليها ، ولسماتها التي تجعلها وفيه لمتطلبات العمل الاعلامي في عملية الاتصال الذي

يستهدف (احداث تجاوب مع الشخص المتصل به، او محاولة اشراكه في استيعاب المعلومات او في نقل فكرة او تجاه) [٦١].

ولان اللغة هي الرابطة التي تربط الاعلام بالمجتمع ، ولانها ترجع في عناصرها الى امرين: الصوت والدلالة باقسامها لذا يجب ان ننظر اليها ظرة علمية صحيحة من مختلف جوانبها، لانها ليست مجمومعة القواعد (النحو) وليست وسيلة افادة فحسب، بل انها لايمكن ان تخضع لقواعد المنطق الصوري و المنطق الارستطاليسي الذي قسم الكلام الى مخارج محددة جعلها اسماء وافعالا وادوات، وذلك لانها بمفهومها الاجتماعي (سلوكردي وجماعي) وليست مجرد افادة عقلية ، او مجرد انبعاث صوتي منتظم[٦٢].

وتاسيسا على الفهم الوظيفي للاتصال – لافرق بين ان يكون شخصيا او جماعيا– حدد د. عبد العزيز شرف ثلاثة مستويات للتعبير اللغوي، هي:

الاول– المستوى التذوقي الفني والجمالي، ويستعمل في الادب والفن

الثاني– المستوى العلمي النظري التجريدي، ويستعمل في العلوم

الثالث – المستوى العلمي الاجتماعي العادي، وهو الذي يستخدم في الصحافة والاعلام بوجه عام[٦٣].

وعلى الرغم من ان د. عبد العزيز شرف يظل ثلاثيا في تقسيمه لمستوى التعبير اللغوي، الا ان هذه التقسيمات تختلف تسمياتها ومجالاتها عنده، اذ انه يعيد ذكرها ثانية كتاب له ، فيقول: هناك ثلاثة مستويات للتعبير اللغوي:

اولها: المستوى التعبيري، وهو تذوقي فني جمالي، يستعمل في الادب والفن والتحرير

الثاني: المستوى الاقناعي، ويستعمل في الدعاية والعلاقات العامة.

الثالث: هو المستوى الاعلامي، وهو مستوى عملي اجتماعي عادي يستخدم في وسائل الاعلام[٦٤].

ان هذا الاضطراب سواء في التقسيم او في التسمية، يعود في تقديري الى محاولة عزل اللغة الاعلامية، وجعلها ذات مستوى مستقل عن مستويات اللغة الاخرى وهو فصل فيه الكثير من التعنت والقسر اذي لا مبرر له.

ان العربية تنطوي على فنين ، هما : الشعر والنثر، فالشعر ، في اصطلاح العروضيين، هو الكلام الموزون المقفى ، وفي الاصطلاح الادبي: مخطابة الوجدان والعوباسلوب يغلب عليه الخيال، ويكثر في عباراته التشبيه، واستخدام الكلام في غير ما وضع له عن طريق المجاز والكناية.

ويفرق ابن سنان الخفاجي بين الشعر والنثر، بما يشتمل عليه الاول من الاوزان والقوافي، الى جانب الذوق والحس الذي يقدمه على العروض[٦٥]. في حين ان النقاد في العصور المتأخرة يرون في الشعر امورا اخرى يعبرون عنها بالصورة والاخيلة

حينا، ويفونها بالعاطفة والانفعال حينا اخر، واخيرا يجردون الشعر من المنطق وما يمت للعقل ونظام تفكيره بصلة.

اما النثر فانه يكون على مستويين: احدهما: المستوى الفني، الذي اسماه د. عبد العزيز شرف (المستوى التعبيري) مرة، و (المستوى التذوقي الفني الجمالي) مرة اخرى ثانيهما: المستوى العلمي، ويضم (المستوى الاقناعي) و (المستوى الاعلامي) وهما : القسم الثاني والثالث في تقسيمه الثاني، وهما: (المستوى العلمي النظري التجريدي) و (المستوى العملي الاجتماعي العادي) في تقسيمه الاول، وذلك لعدة امور نذكرها فيما ياتي:

١-ان الاقناع ليس مستوى مستقلا من مستويات التعبير اللغوي، بل هو هدف تسعى اساليب التعبير مجتمعة الى تحقيقه، لانه واحد من اهم غاياتها، سواء اكانت هذه اللغة على مستويين ام ثلاثة مستويات.

ان الاقناع هدف من اهداف اللغة باساليبها المختلفة ووسائلها المتعددة منذ القدم والى يومنا هذا، ففن الخطابة عند ارسطو: (الكشف عن الطرق الممكنة للاقناع في اي موضوع كان. وتلك المهمة ليست من شان اي فن اخر، بل كل واحد من الفنون انما هو قادر على انه يعلم ويقنع في مجال موضوعه الخاص) [٦٦].

وسر ذلك عنده: ان المرء لا يكفي ان يعرف ما يجب ان يقوله بل عليه ايضا ان يعرف كيف يقوله، وهذا يسهم كثيرا في جعل الكلام يظهر ذا طابع معين. و اول

ما اهتممنا به كان بالطبع ما ياتي اولا، اعني كيف نحدث الاقناع استنادا الى الوقائع نفسها[٦٧]. اذن فالاقناع هو الغاية التي يهدف اليها الاسلوب، ثم ان لكل اسلوب غاياته التي يتوخاها.

٢-ان المستوى الفني والمستوى العلمي يلتقيان في انهما وسيلة تعبيرية عن اغراض معينة، وهذه الوسيلة هي اللغة لانها وسيلة التعبير الطبيعية عن الافكار والاراء والمعاني والعواطف، الا انهما يختلفان في طريقة التعبير، وطريقة نظم الكلام، وعرض الافكار المراد ايصالها، ثم في غلبة العناصر الجمالية على المستوى الفني واستعمال الالفاظ الموحية التي تكون دلالتها دلالة هامشية في حين ان اللفظة في الاسلوب العلمي تاخذ دلالتها المركزية الموضوعة لها اصلا.

كما انهما يلتقيان، وهذا هو الاعم الاغلب: فحين يكون المثل الاعلى للاديب المنطق والوضوح فان حرية الاديب في اختيار كلماته وفحصها تكون على اقلها، لانه يكون اسير المنطق والوضوح والدقة اكثر مما هو اسير كلمات. فالفكرة تستولي عليه ويكون مثله الوضوح لا تزويق الالفاظ، وهناك بعض الادباء مثلهم الاعلى هو الدقة والضبط والاتقان، وبذا فانهم يرغمون على اختيار الكلمات بكل اعتناء وبطء وجهد حتى يلائموا بين الكلمات والمعنى الدقيق الذي يريدوه[٦٨].

وقد وضع لنا الخبيرون بالاساليب قواعد للعناصر التي يجب توافرها لتكوين اسلوب جيد فهناك العناصر الفكرية، وهي : الصحة الناتجة عن الاستعمال الصحيح للكلمات، والوضوح، الذي ينتج عن الوضع الصحيح لها، وانسجام بين الشيء والذي يقال فيه، والكيفية التي يعبر بها عنه، فهناك العناصر العاطفية، وهي: القوة والجدة والايحاء، وهناك العناصر الجمالية، من موسيقى وروعة وسحر تجعل الاسلوب لذيذا في حد ذاته بصرف النظر عن الفكرة[٦٩].

وفي ضوء ما تقدم نستطيع ان نحدد نقاط الالتقاء بين المستويين الفني والعلمي في: المنطق ، والوضوح، والدقة، والضبط، والاتقان، في حين انهما يفترقان في غلبة العناصر الجمالية على الاسلوب الفني، وان كنا لا نستطيع ان نجرد الاسلوب العلمي من هذا كله. فما وضعه ابن سنان الخفاجي الذيث يعد اول من فصل القول في الفصاحة يعد شرطا ضروريا لكلا الاسلوبين (الفني والعلمي) لانه قسم الفصاحة قسمين اساسيين، هما : فصاحة الكلمة المفردة، وفصاحة الكلمة المركبة ومن بعض ما اشترطه في القسم الاول: ان تجد (اللفظة) لها في السمع حسنا ومزية على غيرها، وان تكون غير متوعرة وحشية، وغير ساقطة عامية، ولا مهجورة المعنى، وان تكون جارية على العرف العربي الصحيح في التصريف والاستعمال.

اما القسم الثاني، فاضافة الى ما ذكره في القسم الاول، ذكر شروطا اخرى جمعها المتأخرون من البلاغيين في قولهم: (ان فصاحة الكلام، ان يخلو من التعقيد اللفظي

والمعنوي، وضعف التاليف ، ومخالفته القياس النحوي، ومن تنافر الكلمات مع فصاحة المفردات) [٧٠].

ان ما اشترطه ابن سنان الخفاجي في فصاحة الكلمة والكلام ينطبق على كلا الاسلوبيي، وقد اشار اليه ارسطو من قبل ، لان خصاص الاسلوب عنده، هي : الصحة والوضوح والدقة . فصحة الاسلوب: اساس جودة الكلام وتستلزم امورا منها: صحة استعمال الكلمات التي تربط الكلام بعضه ببعض . ووضوح الاسلوب: شرط لجودته ، لان الكلام الذي يعجز عن اداء معناه في وضوح يفوت الغرض منه. ودقة الاسلوب: هي ان تتجنب فيه ما لامبرر له من ابتذال[٧١].

٣-ان المستوى الاقناعي الذي اشار اليه >. عبد العزيز شرف الى انه يستعمل في الدعاية والعلاقات العامة، فان هذين ان لم يكونا من حقول الاعلام كما اشرنا من قبل[٧٢]، فانهمار يبان منه، وقد سمي بعض الاعلاميين (العلاقات العامة) فن الاستصال بالجماهير، وهي وسيلة اعلامية ظهر خطرها منذ اوائل القرن الماضي[٧٣].

اما الدعاية فيعرفونها: انها محاولة التاثير في الافراد والجماهير والسيطرة على سلوكهم لاغراض معينة مشكوك فيها، وذلك في مجتمع معين وزمان معين ولهدف معين[٧٤].

٤-ان قوله عن (المستوى الاعلامي) ووصفه اياه انه: مستوى عملي، اجتماعي، عادي، يستخدم في وسائل الاعلام. فاننا لا نقبل من هذه الاوصاف الا وصف (عملي) في مقابل المستوى الفني، وذلك لان الاسولب اعلامي اسلوب وظيفي يهدف الى ايراد الحقائق والمعلومات وابلاغها شانه الاسلوب العمي، اما قوله (اجتماعي) فيحتمل احد امرين ، اما (الوظيفة الاجتماعية) وهذه ليست خالصة باسلوب الاعلام وحده، لان اللغة باساليبها المتعددة ذات وظيفة اجتماعية، وسبق لنا ان رجحنا تعريف علماء الاجتماع اللغة. والامر الاخر، انه يقصد بـ(الاجتماعي) هو سعة الانتشار بين افراد المجتمع، وتطابق لسانهم الدارج، وذلك مرفوض لاننا لا نقبل من اللغة الا فصيحها، ولان لغة المحادثة هي غير لغة الكتابة.

اما قوله (عادي) فان كان منسوبا الى (العادة) فان الفصحاء لم يعرفوا النسبة بهذا المعنى لانهم خصوها بالمنسوب الى (عاد) احدى قبال العرب الكبيرة المذكورة في القران الكثريم كثيرا، والنسبة وضعت للحسي المادي قبل ان توضع للمعنوي ، وقالوا شيء عادي، ارادوا به القديم لان (عاد) كانت قديمة[٧٥].

فاذا كان هذا هو مقصوده واراد بـ (عاد) القديم فان الامر غير ذلك لان الفصحى اقدم واسبق من العامية، وان االراد العاديين من افراد المجتمع فذلك مرفوض ايضا،

لان لغة المحادثة اليومية لا تصلح ان تكون مستوى لغويا، ولان المستوى الاعلامي يجب ان تكون لغته بعيدة عن الابتذال والعامية كما ذكرنا من قبل.

٥-ان ما يكتب ويذاع في حقلي العلوم والاعلام، يلتقيان في انهما موجهان للناس عامة بقصد ايصال الحقائق والمعلومات والاخبار، والاتصال في جوهره كما يقول د. بعد العزيز شرف: نقل المعاني عن طريق الرموز المتعارف عليها، والتي يستخدمها الانسان من اجل التوافق النفسي مع العالم الخارجي، فالرموز هي جوهر وسائل الاعلام وعمودها الفقري، وبدونها لا يمكن ان تعمل[٧٦].

ولما كانت هذه الرموز من جوهر وسائل الاعلام فانها من جوهر العلم والفن لا يمكن بدونها ايصال اي شيء الى الاخري، لذا فان الرموز تختلف في المستوى التعبيري، وتلتقي في الوظيفة، اي الغاية المراد الوصول اليها.

وخلاصة الامر: ان اللغة ليست اربعة مستويات، ولا ثلاثة ، فقد اشار الدكتور محمد سيد محمد الى ان اللغة اربعة مستويات، هي: النثر العادي، النثر العلمي، النثر الفني، وهذه تقسيمات النثر كما يراها، ثم اضاف قسما رابعا سماه: النثر الصحفي[٧٧].

وذكرنا ايضا تقسيمات د. عبد العزيز شرف الذي يرى ان اللغة ثلاث مستويات، وتوصلنا من خلال مناقشته الى ان اللغة مستويان، هما:

المستوى الفني، والمستوى العلمي او العملي فالاول: ذو وظيفة تمنح العمل الادبي خصائصه ومميزاته، وهو اعلى مستوى من المستوى العلمي. والثاني: ذو طبيعة وظيفية ابلاغية الغاية منه التعبير الوجداني بالالفاظ واثبات ارادة المتكلم وذاته، منهجه دراسة الوسائل التعبيرية في المجال اللغوي الذي تلتقي فيه اللغة بالحياة[٧٨].

والى مثل هذا اشار د. عبد العزيز الغنام حين اشار الى تسمية الاسلوب الصحفي بـ(النثر العلمي) ليساير هذا التعبير الخاص بلغة الصحافة الحياة العلمية بما فيها من متناقضات وبساطة وتعقيد[٧٩]. وقد عرف العرب النثر العلمي قبل ان يعرفوا الاسلوب الاعلامي بالمعنى المتعارف عليه الان. فبعد نزول القران الكريم وانتشار الاسلام كان للعرب حياة تختلف عن سابقتها سعة وعمقا، فحياة التحضر والاستقرار التي مهد لها القران الكريم وحث الاسلام على بلوغها اقتضت علوما شرعية كالاصول والفقه، ولغوية كالنحو والصرف، والبلاغة ، والعروض، والادب، كما اقتضت الحياة الجديدة نقل علوم من الامم الاخرى، لم يكن العرب ليعرفوها، وكان لضرورة هذه العلوم مصطلحات لامناص من اعطائها الفاظا تدل عليها. لذلك اخذت هذه المعاني الحيدثة الفاظا عربية تواضع عليها المشتغلون لتلك العلوم، وقد كثر ذلك كثرة هائلة حتى كان الفاظ اللغة وضعت وضعا جديدا[٨٠]. وبذا درجت شخصية التراث العلمي العربي منذ بدئها على ان تجمع بين صنوف العلم النظري، وهو ما يتصل في جملته في امور الدين ، وبين الدراسة اللغوية.

المصادر والمراجع

١-اثر القران الكريم في اللغة العربية، احمد حسن الباقولي، دلار المعارف ،مصر ط٢ ١٩٧٣ .

٢-الاعلام و الدعاية، د.عبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي، القاهرة ط٢ ١٩٥٨.

٣-الاعلام واللغة، د. محمد سيد محمد (سلسلة البحوث الاعلامية ١) عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٤.

٤-البلاغة عند البحث، د. احمد مطلوب، دار الحرية للطبعة، بغداد ٨٣.

٥-البيان والتبين، الجاحظ / الشركة البنانية للكتاب، ١٩٨٦.

٦-التركيب اللغوي لـلادب، د. لطفي عبد البديع،، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠.

٧-تصريف الفعل، د. امين علي السيد، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٧٣.

٨-التعريفات، للابي الحسن الجرجاني، الدار التونسية للنشر ١٩٧١.

٩-الخصائص ، لابن جني، تحقيق علي النجار، دار الهدى ،بيروت ط٢.

١٠- الخطابا لارسطو ، ت، عبد الرحمن البدوي، دار الشؤون الثقافية، يغداد ١٩٨٦

١١- دراسات في فلسفة النحو و الصرف، د. مصطفى جواد، مطبعة اسعد، بغداد ١٩٨٦.

١٢- دلائل العجاز، الجرجاني، دار المعرفة، بيروت، ط٢ ،١٩٧٢.

١٣- سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (دراسة وتحليل) د. عبد الرزاق ابو زيد، مكتبة الانجلو ١٩٧٦.

١٤- شرح كتاب سيباويه لابقي سعيد السيرافي، مصورة دار الكتب المصرية (٥٢٨ نحو، تيمو)

١٥- فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر ط٧، ١٩٧٢.

١٦- الفن ومذاهبه في النثر العربي، د. شوقي ضيف ،دار المعرف، مصر ، ط٤ ١٩٦٥.

١٧- في النحو العربي (قواعد وتطبيق) د. مهدي المخزومي، البابي الحلبي، القاهرة ط١ ١٩٦٦.

١٨- في النحو العربي (نقد توجيه) د. مهدي المخزومي ،المكتبة العصرية، بيرلاوت ١٩٦٤.

١٩- الكتاب ،سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،الهيئة المصرية العامة للكتابة، ١٩٧٧.

٢٠- اللغة، ج فندر يس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٠

٢١- اللغة والمجتمع، (رأي ونهج) د. محمود السعران، دار المعرف، مصر ط٢، ١٩٦٣.

٢٢- اللهجات العربية للتراث، د. احمد علم الدين الجندي، مطابع الهيئة العامة للتاب، مصر ١٩٦٥.

٢٣- المختار، من كتاب مقدمة ابن خلودن، اختيار، رضوان ابراهيم، مراجعة احمد زكي، البابي الحلبي، القاهرة ط١٩٦٠،١

٢٤- مدخل الى وسائل الاعلام، د. عبد العزيز شرف ، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٨٠

٢٥- مدخل في علم الصحافة، د. عبد العزيز الغنام، دار النجاح بيروت، ١٩٧٤.

٢٦- نحو وعي لغوي، د. مازن المبارك مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٩*.

٢٧- النقد الادبي، احمد امين، دار الكاتب العربي، بيروت ط٤ ١٩٦٧.

٢٨- النقد الادبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار الثقافة بيروت ١٩٧٣.

البحوث و الدراسات

١-الاتصال مفهومه ، نظرياته، عوائقه، متطلباته، د. سمير محمد حسن، (من بحوث الداورة العربية الرابعة للبحوث الاذاعية و التلزيونية، الرباط، ١٩٨٣) منشورات المكتب العربي للبحوث المستمعين و المشاهدين بغداد.

٢-الاعلام واللغة (بحث مقدم من قبلي الى ندوة تجربة التدريس الاعلامي في بلدان المغرب العربي) المعهد العالي للصحافة، الرباط ١٩٨٧، و المنشور في مجلة (الموقف) المغربية عدد٣ ايلول ١٩٨٧.

٣-الاعلام و لغة الحضارة، عبد العزيز شرف، مجلة اللسان العربي ١ المجلد ١١ الرباط، المغرب، ١٩٧٤.

٤-العامية والفصيحة، د. حاتم صالح الضامن (من بحوث ندوة اللغة العربي و الوعي القومي، بغداد) منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط١، ١٩٨٤.

٥-العربية الفصيحة لغة التعليم في الوطن العربي، د. عبد العزيز بسام (من بحوث سابقة الذكر)

٦-الفرابي و ارائه اللغوية في كتاب الحوف، د. عدنان محمد سلمان، مجلة المورد١ المجلد ١٨، ١٩٨٩.

٧-من خصائص اللغة العربية، د. احمد مطلوب، من بحوث (ندوة اللغة العربية والوعي القومي) بغداد، مصدر سابق.

الهوامش

[١] - انظر: الاعلام والدعاية، د. عبد اللطيف حمزة، ط٢ ص ٧٥
[٢] - انظر: المدخل الى وسائل الاعلام، د. عبد العزيز شرف، ط١ ص١٦ ، والدعاية والاعلام ص٧٦
[٣] - انظر: الاعلام ولغة الحضارة ، د. عبد العزيز شرف، مجلة اللسان العربي ١ مجلد ١١ ص ٣٤٧
[٤] - انظر: النقد الادبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال ص ٤٢
[٥] - السابق ص ٤٤
[٦] -الفارابي واراؤه اللغوية في كتاب الحروف، د. عدنان محمد سلمان ، مجلة المورد ١، مجلد ١٨ ص١١٤
[٧] - الخصائص ١/٣٣
[٨] - المزهر ٨/١
[٩] - الاعلام واللغة ، د. محمد سيد محمد ص٧
[١٠] - الاعلام ولغة الحضارة ص٣٤٠
[١١] - السابق ص ٣٤١
[١٢] - انظر: المختار من كتاب مقدمة ابن خلدون، اختيار: رضوان ابراهيم ص٢٩٣-٢٩٨
[١٣] - انظر: السابق ص١٠٢
[١٤] - انظر: اللغة ، فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ص٢٤
[١٥] - انظر:المدخل الى وسائل الاعلام ص٢٧
[١٦] - انظر: الاعلام والدعاية ص٨٧
[١٧] - انظر: الاعلام واللغة ص ٨
[١٨] - انظر: الاعلام واللغة ، الحضارة ، ص٣٥٧
[١٩] - انظر: السابق ص٣٤٧
[٢٠] - انظر: التعريفات ص ١٠٢
[٢١] - انظر: اللغة، ص٢٣١
[٢٢] - انظر: المختار ، من كتاب مقدمة ابن خلدون ، ص٢٩٦
[٢٣] - انظر: الاعلام واللغة ، الحضارة، ص٣٥٧
[٢٤] - انظر: الفارابي واراؤه اللغوية في كتاب الحروف، ص ١١٧
[٢٥] - انظر: اللغة والمجتمع ، رأي ومنهج، ط٢ ، ص١٢
[٢٦] - انظر: الاعلام واللغة ، ص٩
[٢٧] - انظر: السابق ، ص١٠
[٢٨] - انظر: فقه اللغة ، ص١٦٤
[٢٩] - اللغة ووسائل الاتصال الجماهيرية (اللغة والوعي القومي) ، ص٩٢
[٣٠] - الاتصال ، مفهومه، نظرياته (كلمة بحث) الدورة العربية الرابعة للبحوث الاذاعية والتلفزيونية – الرباط – ١٩٨٣ ص١
[٣١] - انظر: الاعلام واللغة ، ص١٠ -١١
[٣٢] - الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص١٥
[٣٣] - انظر: فقه اللغة ، ص١٣٢ ، ١٤٧

[٣٤] - العامية والفصيحة (اللغة العربية والوعي القومي) ، ص٢٢٣
[٣٥] - فقه اللغة ، ص١٤٨
[٣٦] - الخصائص ٢٢٠/١
[٣٧] - العربية الفصيحة لغة التعليم في الوطن العربي (اللغة العربية والوعي القومي) ص٦٢
[٣٨] - نحو وعي اللغوي ، ص٤٥
[٣٩] - انظر: اللهجات العربية في التراث ، ص٩٨
[٤٠] - انظر: فقه اللغة ، ص١٥٦
[٤١] - انظر: اللهجات العربية في التراث ، ص٩٧
[٤٢] - السابق ، ص٨٥
[٤٣] - انظر: الاعلام واللغة الحضارة، مجلة اللسان العربي ١، مجلد١١ ، ص٣٦٠
[٤٤] - في النحو العربي (قواعد والتطبيق) ص ٨٣، ٨٤
[٤٥] - انظر : الاعلام ولغة الحضارة ، ص٣٧٧
[٤٦] - انظر: الخصائص ١/ ٣١٢
[٤٧] - الاعلام واللغة الحضارة ، ص٣٧٨
[٤٨] - البلاغة عند الجاحظ ص٧٥
[٤٩] - البيان والتبين ، ٦٦/١
[٥٠] - الاعلام ولغة الحضارة ، ص٣٧٤
[٥١] - الكتاب ، ١٢/١
[٥٢] - شرح كتاب سيبويه، لابي سعيد السيرافي ، مصورة نسخة تيمور ١٢/١
[٥٣] - لمزيد من التفصيل ، انظر: في النحو العربي (نقد وتوجيه) ص١٥٥/١٦٠
[٥٤] - انظر: تصريف الفعل ص٨٨
[٥٥] - انظر: الاعلام ولغة الحضارة ، مجلة اللسان العربي ١، مجلد ١١، ص٣٧٨
[٥٦] - تصريف الفعل ، ص٧٨-٧٩
[٥٧] - دلائل الاعجاز ، ص١٩٩
[٥٨] - الاعلام ولغة الحضارة ، ص٣٧٩
[٥٩] - انظر: بحثنا المعنون (الاعلام واللغة) مجلة الموقف / المغرب ، العدد ٣، ص١٦٢
[٦٠] - انظر: من خصائص العربية (اللغة والوعي القومي) ص١٤٢
[٦١] - المدخل الى وسائل الاعلام ، ص١٢٧
[٦٢] - السابق ص١٣٣
[٦٣] - الاعلام ولغة الحضارة ، ص٣٥٨
[٦٤] - المدخل الى وسائل الاعلام ، ص١٣٣
[٦٥] - انظر: سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (دراسة وتحليل) ، ص١٦١
[٦٦] - الخطابة ، ص٢٩
[٦٧] - انظر: السابق ، ص١٩٣
[٦٨] - انظر: النقد الادبي، احمد امين، ص١٢٤
[٦٩] - انظر: السابق ، ص١٣١
[٧٠] - انظر: سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي (دراسة وتحليل) ص٥١-٨١
[٧١] - انظر: النقد الادبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال، ص١١٨
[٧٢] - انظر: ص١٢٦ من هذا البحث
[٧٣] - انظر: الاعلام والدعاية ، ص٨٧
[٧٤] - انظر: السابق ، ص١٥٩
[٧٥] - انظر: دراسات في فلسفة النحو والصرف ، ص٩٩
[٧٦] - انظر: الاعلام ولغة الحضارة ، ص٣٤٥
[٧٧] - انظر: الاعلام واللغة ص١٠-١١
[٧٨] - انظر: التركيب اللغوي للادب ، ص١٠١

[٧٩] - انظر: مدخل في علم الصحافة ١٦٣/١
[٨٠] - انظر: القران الكريم واثره في اللغة العربية ، ص٦٤